قراءة في التنشئة الاجتماعية عندالامام محمد الباقر (عليه السلام)

أ.د. حيدر كريم سكر & أ.م.د. فرحان البيضاني
كلية التربية الاساسية/الجامعة المستنصرية

اهمية البحث والحاجة اليه :

افتتح الاسلام حركته الانسانية المستقبلية بكلمة " اقرأ " التي هي اول تفاعل بين الاسلام والانسان ، وقد استوعب بهذا الشعار التربوي التقدمي حركة الزمان ، اذ جعل من هذا اللفظ برنامج عمل وآلية تربوية تنتظم بواسطتها حركة الانسان كي تحقق وظيفته العبادية ، وتساعد على انجاز مشروعه الحضاري المتميز ، فالعلم اول سلوك عبادي عرضته السماء على الانسان (مدن ، ٢٠٠٦ : ٧) .

الارث الاسلامي يحفل بالكثير مما يثبت أن الإنسان حظي من رعاية واهتمام سواء في كتاب الله أو سنة نبيه أو مما جاء به خلفائه عظماء رجاله ومفكريه ، ففي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تحث على كرامة الإنسان وحريته دون لبس أو مواربة ، كما أولى الأئمة عليهم السلام اجمعين ، عناية كبيرة بموضوع حقوق الانسان ، ومن ذلك ما جاء به مفصلاً في عهد الامام علي أبن ابي طالب (عليه السلام) الى مالك الأشتر ، حين أرسله والياً الى مصر ، ومما جاء فيه : (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فأنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك)

نلاحظ من هذا النص وجود الاصل الفكري لمفاهيم تم انتقالها من الرسول الاعظم (صل الله عليه وعلى اله وسلم) الى الائمة الاطهار عليهم السلام اجمعين ، ومنهم الامام محمد الباقرعليه السلام الذ يعد بحق مدرسة في الفكر والتربية لما حمله من ارث عظيم نقل من الرسول الاكرم الى الامة باجمعها عن طريق الائمة الاطهار .

ويشير عالم الفلك والرياضيات الامريكي " مايكل هارت " في كتابه اعظم ١٠٠ شخصية في التاريخ الى اختياره لشخصية الرسول الاكرم ووضعه في المرتبة الاولى ان ذلك يعود الى تقديم رسالة للبشرية تحتوي على عناصرالديمومة والبقاء، وتزويدها بعناصر تصونها من الزيغ

والانحراف ، وتكوين امة مسلمة تؤمن بالاسلام مبدأ وبالرسول قائدا ، وبالشريعة قانونا، تاسيس دولة اسلامية وكيان سياسي يحمل لواء الاسلام ، ويطبق شريعة الاسلام ، وتقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (صل الله عليه وآله وسلم)(المحياوي ، ٢٠١٤:١٠)

هذه القيادة الحكيمة بعد وفاة الرسول كانت بحاجة الى من يحمل لوائها وينشر نورها في بقاع الارض ويحافظ عليها وهنا يبرز دور الائمة الاطهار في حملهم لهذه الرسالة التي حاولوا عن طريق الحفاظ على روحها ونشرها بالشكل الصحيح بعيدا عن الزيف والتاويل ، مماجعل من مهمة الامام محمد الباقر عليه السلام عظيمة كونه كان الابن الاكبر لحفيد رسول الله وعليه يقع عاتق المسؤلية في العمل على بث الروح والامل في جسد الامة التي تامرت على ابن بنت رسول الله ، لذا فان الامام الباقر عليه السلام قد نهل العلم من منابعه الاصلية واستطاع ان يكون ويشكل خط علمي تربوي شرعي ينهض بالامة من جديد .

ان تراث اهل البيت عليهم السلام ، الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع اتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الاسلامية ، وقد استطاعت هذه المدرسة ان تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين ، وتقدم للامة الاسلامية كبار العلماء المحتذين لخطى اهل البيت عليهم السلام ، فالتجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة اهل البيت في هذا المضمار فريدة في نوعها ، لانها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم ، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطابا يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة (العذاري ، ٢٠٠٨: ٧)

لذا جاء هذا البحث في محاولة لدراسة التنشئة الاجتماعية عند الامام الباقر عليه السلام للوقوف على ما قدمه في بناء المجتمع الاسلامي والحفاظ على الارث النبوي الرسالي

منهجية البحث :

اعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي القائم على التحليل والتفسيرالذي يسعى الى تحديد الوضع الحالي للظاهرة المدروسة ومن ثم وصفها ، وبالنتيجة فهو يعتمد دراسة الظاهرة على ما توجد عليه في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا (ملحم ، ٢٠٠٠: ٣٢٤)

فدراسة اي ظاهرة ، او مشكلة تتطلب وصفا لهذه الظاهرة والهدف من تبني هذا النوع من البحوث هو التوصل الى فهم اعمق للظاهرة المدروسة ، ولا يتوقف هذا المنهج عند حدود وصف الظاهرة وانما يتعدى ذلك الى التحليل والتفسيروصولا الى تعليمات ذات معنى تزداد بها المعلومات عن تلك الظاهرة (داود، ١٩٩٠: ١٥٩)

اهداف البحث : يستهدف البحث التعرف الى :

١. مفهوم التنشئة الاجتماعية

٢. خصائص التنشئة الاجتماعية

٣. اهداف التنشئة الاجتماعية

٤. التنشئة الاجتماعية عند اهل البيت عليه السلام

٥. قراءة في فكر الامام الباقر عليه السلام حول التنشئة الاجتماعية

مفهوم التنشئة الاجتماعية :

حَظِيَ مفهوم التنشئة الاجتماعية باهتمام كبير في مختلف مجالات المعرفة (علم الاجتماع، الانثربولوجيا، علم النفس) وفي المعاجم والقواميس، فضلاً عن الأبحاث والدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية، وعليه يمكن القول إنه لا يمكن استيعاب مفاهيم التنشئة الاجتماعية في مبحث أو في مقال ، وما سنذكره هنا لا يعني سوى قليل من كثير وغيض من فيض، ويلاحظ أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذه العملية لأنها إحدى عمليات العلوم الاجتماعية التي تتسم بالنسبية والتغير عبر الزمان والمكان، فهي أصلا عملية تتعلق بالإنسان في سياقه الاجتماعي، وفيما يلي نماذج لبعض مفاهيم التنشئة الاجتماعية ،فالتنشئة الاجتماعية تعني عملية إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه ممثله في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة في مجتمعه ومعايير السلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل تبدأ من اللحظات الأولى من حياة الفرد إلى وفاته (درويش ، ١٩٩٩: ٦٨)

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي (بارسونز) أن التنشئة الاجتماعية: عملية تعلم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في النسق الشخصية، وهي عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق (موسى ، ١٩٩٨: ٢١)

ويعرف أميل دور كايم التنشئة الاجتماعية بأنها عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع (ليلة ، ٢٠٠٦: ١٩٣) كما يعرف قاموس علم الاجتماع التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتعلم الطفل عن طريقها كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي الذي توافق عليه هذه الجماعة"(غيث ، ١٩٧٩: ٤٤٩)

أما معجم علم النفس والطب النفسي، فإنه يعرف التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الاجتماعية التي تمكنه من أن يتكامل مع المجتمع ويسلك سلوكا تكيفيًا فيه، وهي أيضا عملية اكتساب الفرد للأدوار والسلوك والاتجاهات التي يتوقع منه في المجتمع(جابر ، ١٩٩٥ : ٣٦)

وهي أيضًا العمليات الاجتماعية التي يستطيع بها الوليد البشري المزود بإمكانات سلوكية فطرية أن يتطور وينمو نسبيًا واجتماعيًا بحيث يصبح في النهاية شخصية اجتماعية تعمل وفقا لأحكام جماعتها ومعاييرها وثقافتها (مليكة ، ١٩٧٠: ٣١٠)

يرى (كلوزين Clausen) أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي عن طريقها يوجه الطفل كي يسير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأخرى التي يجب أن ينتمي إليها ويسلك في غمارها بصورة ملائمة، وذلك كي يصبح في النهاية مؤهلًا وجديرًا بدور الراشد الناضج (علواني ، ١٩٩٧: ٤٨) .

كما أن التنشئة الاجتماعية عملية تفاعل اجتماعي تتم بين الطفل والقائمين على رعايته من خلال مجموعة من الأساليب يتشربها الطفل ويتأثر بها وتهدف تلك العملية إلى تربية هذا الطفل ومساعدته على أن ينمو نموًا طبيعيًا في حدود أقصى ما تؤهله له قدراته في الناحية العقلية والجسمية والعاطفية والاجتماعية والروحية (درويش ، ١٩٩٩: ٨٤)

ويرى البعض أن التنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل المركب التي من خلالها يتعلم الفرد العادات والمهارات والمعتقدات ومستويات الحكم الضرورية لمشاركته الفعالة في الجماعات والمجتمعات المحلية (علواني ، ١٩٩٧: ٨٥)

في حين عرفها آخرون، بأنها العملية التي يصبح من خلالها الفرد واعيا ومستجيبا للمؤثرات الاجتماعية بما تشمل عليه من ضغوط وما تفرضه من واجبات حتى يعرف كيف يعيش مع الآخرين، كما أنها العملية التي تحول الفرد إلى إنسان اجتماعي يمثل المجتمع الذي يعيش فيه وهي ممتدة بامتداد الحياة، كما أنها عملية دينامية تتضمن التفاعل والتغير حيث يكون الفرد في تفاعله مع الأفراد، دائم التأثير بالمعايير والأدوار الاجتماعية والاتجاهات النفسية والشخصية الناتجة في النهاية هي نتيجة لهذا التفاعل (لبيب، ١٩٩٣ : ١٢) .

أما معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية فيعرفها على أنها "العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم من خلالها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات (بدوي ، ١٩٩٩: ٤٠٠)

يتضح من العرض السابق أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة، تتضمن من جهة كائنًا بيولوجيًا له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة، ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثالثة تفاعلاً ديناميكيًا مستمرًا بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجيًا.

كما يتضح من العرض أيضًا أن معظم التفسيرات التي تناولت التنشئة الاجتماعية تنصب في ناحية كونها التفاعل الاجتماعي التي يكتسب الأفراد من خلالها شخصيتهم ويتعلمون في نطاقها طريقة الحياة في مجتمعهم.

وتتفق أغلب التعريفات حول الهدف الأساسي من التنشئة الاجتماعية والذي يتمثل في تشكيل الكائن البيولوجي وتحويله إلى كائن اجتماعي.

ويلاحظ في التعريفات السابقة لعملية التنشئة الاجتماعية أن لتلك العملية لها جانبين، جانب تحول وجانب تعلم، كما يلاحظ أن بعض التعريفات جاءت موجزة (مثل تعريف اميل دوركايم) بينما جاءت تعريفات أخرى طويلة (مثل تعريف مصطلحات العلوم الاجتماعية)، وبالرغم من هذا التفاوت بين التعاريف من حيث الإيجاز والإسهاب فإنها تتشابه في جوهرها حول معنى المفهوم، والاختلاف بينها ليس كبيرًا، ويرجع الإسهاب لدى البعض إلى محاولة توضيح الآلية التي تحدث بها العملية أو لضرب الأمثلة.

خصائص التنشئة الاجتماعية:

ومن خلال ما سبق عرضه من مفاهيم التنشئة الاجتماعية يمكن استخلاص السمات التالية كخصائص تتسم بها التنشئة الاجتماعية:

١. التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

٢. يتحول الفرد عبرها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسئولية الاجتماعية.

٣-هي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.

٤- تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع.

٥- هي عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط، لكن لها وكلاء كثيرين مثل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام المختلفة.

٦- التنشئة الاجتماعية ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أنها عملية تتأثر بالكثير من العوامل المجتمعة كثقافة المجتمع ونوعيته والعوامل الأسرية، كالوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للأسرة، وعدد الأبناء في الأسرة، وحجمها، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين نحو تنشئة أبنائها، وغير ذلك من العوامل الأخرى.

٧- التنشئة الاجتماعية لا تعني صَبَّ أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

٨- التنشئة الاجتماعية ممتدة عبر التاريخ.

٩- التنشئة الاجتماعيةإنسانية تهتم بالإنسان دون الحيوان.

١٠- هي عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع.

١١- هي عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها والمتقدمة .

١٢- هي عملية نفسية واجتماعية في آن واحدٍ، لا تقتصر على الجانب الاجتماعي فقط، وإنما هي عملية لها جوانب نفسية (العمر ، ٢٠٠٤ : ١٣) .

أهداف التنشئةالاجتماعية:

تعد التنشئة الاجتماعية بشكل عام من أهم المقدرات التي تعبر عن هوية المجتمعات ومستقبلها وحركتها وفاعليتها، بل هي الموجه الأكثر تعبيرًا عن آفاقها، فعملية التنشئة الاجتماعية ليست ملء فراغ، بل تعد أهم العمليات المسئولة عن الاستفادة من إمكانيات المجتمع وتلبية احتياجاته(علواني ١٩٩٧: ٢٨)

تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، ومنها :

١- أن الهدف من عملية التنشئة الاجتماعية هو إنتاج شخص ذي كفاية اجتماعية، بمعنى إعداد فرد لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية

٢- تستهدف التنشئة الاجتماعية إلى إدماج القيم الاجتماعية والخلقية في شخصية الفرد، وتكوين ضوابط مانعة لممارسة السلوك اللامقبول اجتماعيا.

٣- تسعى عملية التنشئة الاجتماعية إلى خَلْق ما يسمى بالشخصية المنوالية للمجتمع

٤- تهدف التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الفرد أنماط السلوك السائدة في مجتمعه، بحيث يمثل القيم والمعايير التي يتبناها المجتمع، وتصبح قيمًا ومعاييرًا خاصة به، ويسلك بأساليب تتسق معها بما يحقق له المزيد من التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي.

٥- إكساب المرء نسقًا من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة.

٦- تلقين الأطفال نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع.

٧- تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية.

٨- تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تغيير الحاجات الفطرية إلى حاجات اجتماعية وتغيير السلوك الفطري ليصبح الفرد إنسانًا اجتماعيًا يتعلم أخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه ويتقبل المكانة الاجتماعية التي يحددها له المجتمع

٩- تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التفاعل من خلال احتكاكه بالآخرين.

١٠- في المجتمعات التقليدية يكون أحد أهداف التنشئة الاجتماعية (تأديب) الأطفال، كضمان لازم لبقاء البناء الاجتماعي بنزعته التي تميل إلى الخط الأبوي وعلاقات الاحترام وخصوصًا طاعة الأبناء للوالدين التي تندرج فيها معايير السلوك الواجب اتباعه والرغبة الشديدة من جانب الكبار في خلق اتجاه طبع يتسم بدماثة الخلق في أطفالهم ومن ثم يجعلونهم يكتسبون الشعور بالطاعة والاحترام تجاههم .

١١- تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام والامتثال لقواعده وقيمه بشكل خاص، وهذا لا يتم إلا من خلال تبني الفرد لقيم الجماعة وثقافتها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد

١٢- تهدف التنشئة الاجتماعية إلى إيجاد وإعداد مواطن صالح يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها، حتى يكون نافعًا في المجتمع ويعمل على تطويره وازدهاره (شريف ، ٢٠٠٤: ١٣) .

التنشئة الاجتماعية عند اهل البيت عليهم السلام :

ترتكز العملية التربوية على ثلاثة عناصر أساسية هي: المربي والنظام التربوي والمتربّي. وحينما تفتقد العملية التربوية المربّي الكفوء أو النظام التربوي الصالح فإنها سوف تنحرف ولا تؤتي ثمارها الصالحة، وقد جاء الإسلام ليربّي المجتمع البشري بقيادة الرسول الخاتم المصطفى محمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله)، وخطى النبي(صلى الله عليه وآله) في طريق التربية الشاق خطوات كبيرة، واستطاع في ظلّ الشريعة الاسلامية ونظام الإسلام التربوي أن يربّي من تلك الجماعات الجاهلية أُمّة صالحة ورشيدة.

وقد قام الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) بدور جبّار لصيانة الإسلام والحفاظ على التجربة الاسلامية وعلى دولة الرسول وحاولوا جهد إمكانهم حفظ الأُمّة المسلمة من التمادي في الانحراف والانهيار، وعملوا بشكل عام على خطّين رئيسين للوقوف بوجه هذا الانحراف الكبير الذي لم يدرك

إلاّ الرسول(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار مدى عمقه وخطورته على الشريعة والدولة والاُمة جميعاً.

والخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمة(عليهم السلام) عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا لذلك نشاطهم يتمثّلان في:

١ ــ خط تحصين الاُمة ضد الانهيار بعد وقوع التجربة، بأيدي اُناس غير مؤهّلين لقيادتها، واعطائها القدر الكافي من المقومات لكي تواصل مسيرتها في الاتجاه الصحيح، وبقدم راسخة .

٢ ــ خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيادة الكفوءة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية ولتتلاحم الاُمة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة

فقد كان لائمة أهل البيت(عليهم السلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفة، وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً، كثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ضد يزيد بن معاوية وان كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الاسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة.

وكان لهم(عليهم السلام) نشاط مستمر كذلك في مجال تربية الاُمة عقائدياً وأخلاقياً وسياسيّاً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي والفكر الاسلامي وتصحيح الأخطاء الحاصلة في فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة أو التيارات السياسية المنحرفة أو الشخصيّات العلمية المنحرفة التي كان الحكام الجائرون يستخدمونهم لدعم حكوماتهم. وكانت من جملة مهامّهم دعوة الناس الى السير وراء القيادة الإلهية بعد الرسول(عليهم السلام) والمتمثّلة في إمامة أهل البيت الأطهار، وتصعيد درجة معرفة الاُمة والايمان بهم والوعي اللازم تجاه امامتهم وزعامتهم.

هذا بالإضافة الى نزول الأئمة(عليهم السلام) إلى ساحة الحياة العامة والارتباط بالاُمة بشكل مباشر والتعاطف مع قطّاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت(عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصلوا عليها صدفة، أو لمجرد الانتماء الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن يحظى بهذه المكانة عند الناس؛ لأن الاُمة لا تمنح ولاءها لأحد مجاناً، ولا يملك أحدٌ قيادتها وميل قلوبها من دون عطاء سخيّ منه في مختلف مجالات الحياة، وخاصّة عند الأزمات ، والمشكلات

التنشئة الاجتماعية عند الامام الباقر عليه السلام :

كان الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام بين اخوته خليفة أبيه علي بن الحسين عليه السلام، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد وكان اكثرهم ذكرا واجلهم في العامة والخاصة واعظمهم قدرا ولم يظهر عن احد من ولد الحسن والحسين (سلام الله عليهما) من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الاداب، ما ظهر عن ابي جعفر عليه السلام .

أبوه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وجده الامام الحسين سيد الشهداء بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمه فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي (سلام الله عليهم)، فهو سليل أميرالمؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جدا وأبا وأما. ولد عليه السلام سنة ٥٧هـ من الهجرة النبوية الشريفة، واستشهد بها في السابع من ذي الحجة عام ١١٤هـ. وهو هاشمي من هاشميين، علوي من علويين، وقبره بالبقيع من مدينة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله)

بدأ يتلقّى علومه على يد أبيه ونشأ وترعرع في ظلال ابيه الامام زين العابدن يحيا حياته في الزهد والعبادة والعرفان ويعيش آلامه ومأسيه.

يذكر المؤرخون في سيرة الإمام الباقر (سلام الله عليه) الشخصية، أنه كان "كثير الذكر، كان يمشي وإنه ليذكر الله، ويأكل الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة –قراءة القرآن– من كان يقرأ منهم، ومن كان لا يقرأ منهم أمره بالذكر، وكان ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالتفضّل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله.

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة، حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان. وكان الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الانسانية في سيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين (سلام الله عليه) بدأت طفولته عليه السلام، في غمرة جحيم الأحداث المتوالية ضد محبي أهل البيت، أمّا الحكم الأموي، فقد عانى عليه السلام منه الكثير. عاصر حكم يزيد، وشهد حكم عبد الملك والوليد وهشام ابنيه، كما رأى مسلك الحجّاج ابن يوسف، هذا الذئب من ذئاب جهنم، رأى الحصار الذي فرض على أبيه الجليل، رأى كيف كان الناس يتحرّكون بكامل حرّيتهم؛ فيقولون ما يشاؤون ويكتبون ما يشاؤون، إلاّ أهل بيت الرسول، فالحرّيّة محظورة عليهم، والناس لا يجرؤون على الاقتراب من

بيت الإمام، أو سؤاله عن أيّ مسألة، دينيةٍ كانت أم غير ذلك، لا لشيءٍ، إلاّ لأنّ زين العابدين هو ابن الحسين وحفيد علي بن أبي طالب عليهم السلام. ورغم هذا التضييق الشديد فقد كان هناك رجال صدق، لا يأبهون لأوامر الحكّام.

كان عصر الإمام الباقر عليه السلام، من أدقّ العصور الإسلامية، وأكثرها حساسيةً، فقد نشأت فيه الكثير من الفرق الإسلاميّة، وتصارعت فيه الأحزاب السياسيّة، كما عمت الناس ردّه قوية إلى الجاهلية وأمراضها، فعادوا إلى الفخر بالآباء والأنساب، ممّا أثار العصبيّات القبلية وعادت الصراعات القبلية إلى الظهور، وهذا ما شجّع عليه حكام بني أميّة، كما انتشرت مظاهر التّرف واللهو والغناء، والثراء الفاحش غير المشروع.

تصدّى الإمام عليه السلام لكلّ هذه الانحرافات، فأقام مجالس الوعظ والإرشاد، كي يحفظ لدين جدّه نقاءه وصفاءه. كما تصدّى عليه السلام للفرق المنحرفة، فاهتمّ برعاية مدرسة «أهل البيت». والتفّ حول الإمام الباقر علماء كثيرون، نهلوا من صافي علومه ومعارفه في الفقه والعقيدة والتفسير وعلوم الكلام.

لقد بذل الإمام الباقر عليه السلام عناية خاصّة لإصلاح أخلاق أبناء المجتمع الإسلاميّ بدء بالمقرّبين منه، ثمّ في سائر الأوساط الاجتماعيّ والمؤسسات الحكوميّة، وذلك عبر أساليب متعدّدة منها:

أ – توظيف السُنّة النبويّة لإيجاد التغيير :لأنّها تتضمّن عناصر التغيير الأخلاقيّ والإصلاح الاجتماعيّ. ومن هنا أخذ الإمام عليه السلام يهتم بنشر الحديث الشريف محققا بذلك هدفين مهمين :

١. كسر طوق الحظر الّذي كان قد فرضه الحكّام على أبناء الأمّة لإبعادها عن مصدري عزّتها وكمالها وهما سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الشريفة.
٢. إيجاد عامل التغيير الأخلاقيّ معتمداً على تقديس الأمّة لنبيّها العظيم والتأسّي بأخلاقه. ومن أصول التغيير الأخلاقيّ الّذي اعتمده عليه السلام هو تغيير العناصر المؤثّرة في بناء المجتمع كما ورد في الحديث الشريف" :صنفان من أمّتي إذا صلحا صلحت أمّتي، وإذا فسدا فسدت أمّتي ونشر الإمام عليه السلام المفاهيم الأخلاقيّةس فأكّد على العفّة والحياء، وحُسْنِ الخلق وإدخال السرور على المؤمنين، وصلة الرحم وغيرها من المفاهيم الّتي برزت في أحاديثه وكلماته عليه السلام.

ولم يكتفِ عليه السلام بنشر الأحاديث الشريفة والدعوة إلى تجسيد محتواها في الواقع، وإنّما قام بأداء دور القدوة في ذلك. فكان عليه السلام يعالج الواقع الفاسد معالجة عمليّة من خلال سيرته الحسنة.

كثّف الإمام عليه السلام دعوته إلى إصلاح النفوس واكتساب مكارم الأخلاق لتكون العلامة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان عليه السلام يدعو إلى إفشاء السلام، وهو مظهر من مظاهر الإخاء والودّ والصفاء في العلاقات الاجتماعيّة، كما دع عليه السلام إلى تطهير اللسان فقال عليه السلام" :قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يُبغض اللّعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف. ويحبّ الحييّ الحليم، العفيف المتعفّف "ودعا إلى الارتباط بأهل التقوى وتعميق أواصر العلاقات معهم. وأوضح عليه السلام حقوق المؤمن على المؤمن، وحذّر من ظلم الآخرين أو الإعانة على ظلمهم، ودع عليه السلام إلى مقابلة الإساءة والقطيعة بالإحسان والصلة. وهكذا نلاحظ تنوّع أساليب الإمام عليه السلام لإيجاد التغيير الأخلاقيّ في عامّة طبقات المجتمع.

كان للإمام الباقر عليه السلام دور كبير في تشييد وتوسيع المؤسّسات الثقافيّ الإسلاميّة، الّتي تنهج نهج أهل البيت عليهم السلام في نشر العلم والمعرفة. وكان له عليه السلام دورٌ رئيس في بناء وتأسيس مدرسة المدينة، حيث ازدهرت في أيّامه وإلى آخر أيّام الإمام الصادق عليه السلام وقد انتظمت الحلقات الدراسيّة، وكان بيته عليه السلام جامعةً يزدحم فيها طلّاب العلوم وحملة الحديث، ينهلون من معينه الّذي لا ينضب.

فالمنهج التسلسلي الذي حدده الامام الباقر(عليه السلام) لتعليم وتربية الطفل تبدأ مرحلة الطفولة المبكرّة من عام الفطام إلى نهاية العام السادس أو السابع من عمر الطفل ،وهي من أهم المراحل التربوية في نمو الطفل اللغوي والعقلي والاجتماعي ، وهي مرحلة تشكيل البناء النفسي الذي تقوم عليه أعمدة الصحة النفسية والخلقية وتتطلب هذه المرحلة من الأبوين إبداء عناية خاصة في تربية الاطفال وإعدادهم ليكونوا عناصر فعّالة في المحيط الاجتماعي والتربية والتعليم في هذه المرحلة يفضّل أن تكون بالتدريج ضمن منهج متسلسل متناسباً مع العمر العقلي للطفل ، ودرجات نضوجه اللغوي والعقلي وقد حدّد الإمام محمد الباقر عليهالسلام تسلسل المنهج قائلاً »اذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له : قُلْ لا إله إلاّ الله سبع مرات ثم يترك حتى تتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً فيقال له : قُلْ محمد رسول الله سبع مرات ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له : قُلْ سبع مرات صلى الله على محمد وآله ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له : أيهما يمينك وأيّهما شمالك ؟ فاذا عرف ذلك حوّل

وجهه إلى القبلة ويقال له : اسجد ثم يترك حتى يتم له سبع سنين فاذا تم له سبع سنين قيل له :اغسل وجهك وكفيك فاذا غسلهما قيل له صلِّ ثم يترك حتى يتم له تسع سنين فاذا تمت له تسع سنين علم الوضوء وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها فاذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله عز وجلّ له ولوالديه ان شاء الله « وقد أثبت علم النفس الحديث صحة هذا المنهج (٢ ــ ٣ سنوات ، يكتسب كلام الطفل طابعاً مترابطاً ممّا يتيح له إمكانية التعبير عن فهمه لكثير من الاشياء والعلاقات وفي نهاية السنة الثالثة يصبح الطفل قادراً على استخدام الكلام وفق قواعد نحوية

الاستنتاجات : في ضوء ما تم تقديمه يمكن الخروج بالاستنتاجات الاتية :

إنَّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي كان يشرف عليها الإمام الباقر (عليه السلام) لم تقتصر على تدريس علم الفقه ، بل اهتمَّت بجميع العلوم العلمية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والتاريخية فقد إزدهرت هذه المدرسة في عهد الإمام الباقر (عليه السلام) ، لأنه قام برعايتها خير قيام ، حتى باتَتْ معروفة على صعيد العالم الإسلامي ، مما جعل العلماء يلتفُّون حوله ، من كل حدب وصوب ، وينهلون من نَمِير علومه ، ومعارفه ، وحكمه ، وتفسيراته.

اذإنّ سيرة الامام الباقِر (ع) منهجٌ متكاملٌ في مجالاتٍ عدّة وعلى رأسِها التّعليم الذي اهتمّ به أهلُ البيتِ عليهِم السّلام بشَكلٍ كبير جدّاً إنطلاقاً من إهتمام الاسلام بهِ والذي نزلَ على صدرِ رَسُولِ الله (ص) بقولهِ تعالى {اقْرَأْ} فبالقراءة تنهض الأُمم وبالعلمِ والمعرفةِ تتقدّم ، فالامام الباقر (ع) يعودُ إليه الفَضْل في نشرِ العِلم والتوسُّع فيهِ وتعليمهِ من العلومِ العظيمةِ التي قال عنها أَميرُ المؤمنين (ع) {علّمني حبيبي رَسُولُ الله (ص) أَلف بابٍ مِن العلمِ، يُفتَحُ لي في كلّ بابٍ أَلف بابٍ} ليس علومُ الدِّين فحسْب وإنّما في مُختلفِ العلومِ التي يصنِّفها أَميرُ المؤمنين (ع) إلى صنفَينِ بقولهِ {العلم عِلمانِ؛ عِلْمُ الأَديان وعِلْمُ الأَبدان} فلماذا لا نسير على خطاهُ في هذا المجالِ تحديداً والذي يُعتبَر [التّعليم] حجر الزّاوية في كلّ عمليّة بناء وإعمار سواء على صعيد الفرد أَو المجتمع، وسواء على الصّعيد المادّي [المدنيّة] أَو المعنوي [الفكر والثّقافة والوعي وحرّيّة الرّأي لبناءِ الشّخصيّة وتقويم السّلوكِ

التوصيات : في ضوء ما تم تقديمه يمكن الخروج بالتوصيات الاتية :

١. انشاء مركز دراسات خاص باسم مركز دراسات الامام الباقر عليه السلام
٢. الاستفادة من المنهج التربوي الذي ارسى قواعده الامام الباقر عليه السلام وتضمينه في مناهج التربية الاسلامية .
٣. توظيف احاديث ووصايا الامام الباقر عليه السلام في مناهج التعليم وخصوصا في المرحلة الابتدائية

٤. العمل على نشر فكر الامام الباقر عن طريق عمل ندوات ولقاءات لتوضيح سمو ورقي افكاره خصوصا فيما يتعلق بالجانب التربوي والاخلاقي والاجتماعي

٥. تشجيع الباحثين والمفكرين على تناول سيرة الامام الباقر عليه السلام ومناقبه العلمية ويتم ذلك عن طريق تخصيص جائزة تحمل اسم جائزة الامام الباقر للثقافة والتعليم تمنح لافضل مؤلف تناول سيرة الامام الباقر عليه السلام .

المصادر :

١. بدوي ، احمد زكي . (٢٠٠٤) . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

٢. جابر، عبد الحميد جابر ، كفافي ن علاء الدين . (١٩٩٥) . معجم علم النفس والطب النفسي ، القاهرة : دار النهضة .

٣. داود ،عزيز حنا، عبدالرحمن ، انور حسين (١٩٩٠) مناهج البحث التربوي ، بغداد : دار الحكمة .

٤. درويش ، زين العابدين . (١٩٩٩) . علم النفس الاجتماعي ، اسسه تطبيقاته ، القاهرة : دار الفكر العربي .

٥. العذاري ، سعيد كاظم . (٢٠٠٨). دراسات في علم النفس الاسلامي مرحلة المراهقة مظاهر النمو ومقومات التربية ، قم : المجمع العالمي لاهل البيت .

٦. علواني ، عبد الواحد .(١٩٩٧). تنشئة الاطفال وثقافة التنشئة ، دمشق : دار الفكر العربي

٧. العمر ، معن خليل . (٢٠٠٤) . التنشئة الاجتماعية ، القاهرة : دار الشروق .

٨. غيث ، محمد عاطف . (١٩٧٩) . قاموس علم الاجتماع ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب .

٩. شريف ، السيد عبد القادر . (٢٠٠٤) التنشئة الاجتماعية للطفل العربي ، القاهرة : دار الفكر العربي .

١٠.لبيب ، لبيب عبد العزيز . (١٩٩٣) . الاتجاهات الوالدية وعلاقتها باتجاهات الابناء نحو النشاط الرياضي وسلوكه في وقت الفراغ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية الرياضية : جامعة حلوان .

١١.ليلة ، علي . (٢٠٠٦) . الطفل والمجتمع التنشئة الاجتماعية وابعاد الانتماء الاجتماعي ، القاهرة : المكتبة المصرية .

١٢.مدن ، يوسف . (٢٠٠٦) . التعلم والتعليم في النظرية التربوية الاسلامية ، بيروت : دار الهادي .

١٣.المحياوي ، عبدالله ياس . (٢٠١٤) . قبسات وعبر من سيرة المعصومين الاربعة عشر عليهم السلام ، بغداد : دار الفراهيدي .

١٤.ملحم ، سامي محمد (٢٠٠٠) القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، عمان : دارالمسيرة .

١٥.موسى ، عبد الفتاح تركي . (١٩٩٨) التنشئة الاجتماعية (منظور اسلامي) ، القاهرة : المكتب العلمي للنشر .

١٦.مليكة ، لويس كامل . (١٩٧٠) . قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب .